الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداني عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٥٢٦٩٩٧ / ٥٦٢٦٩٩

العدد ٢٥٣ — الثلاثاء ٤ من ذي القعدة سنة ١٣٦٢ — ٢ من نوفمبر سنة ١٩٤٣ — السنة الخامسة

فهرس العـــــدد

أخلاق الطفولة وأخلاق الرجولة

لاحظ الطفل ، وأمعن النظر في تصرفاته ، وراقب البوادر على حركاته وسكناته ، تخرج بنتيجة حتمية ، وهي أنه أناني مفرط الأنانية ، يرى أن أهم ما في الوجود شخصه ، وكل شيء حوله يجب أن يكون له ؛ ما يصدر عنه من أعمال فإنما هي لنفسه ، ولذة يلتذها جسمه ، ليس يهمه أي شيء يتصل بغير شخصه ، لا يعنيه من أمه إلا أن ثديها وعاء لبنه ؛ كل ما له من عمل ، وكل ما له من شعور ، وكل ما له من فكر ، وكل ما له من رغبات ، فإنما هي موجهة نحو ذاته ؛ فإذا أحس فراغاً من الزمن ليس فيه شيء مما يشغله ويلذه بكى ؛ ولو كلف أن يرسم خريطة العالم كما يرى ، واستطاع ذلك ، لرسم شخصه فقط ، وكان هو العالم كله ، وهو العالم وحده ، وما عداه من شيء فلخدمته .

لاحظه بعد ذلك وهو ينمو ، تجده يتحول من « أنا » قليلاً قليلاً إلى « نحن » شيئاً فشيئاً ، فهو يبدأ يشعر بأسرته بجانب شخصه ، ثم بتلاميذ مدرسته بجانب نفسه ، ويتعلم دروس الأخذ والإعطاء بعد أن كان درسه الوحيد هو الأخذ ، ويضم إلى العمل لشخصه العمل لغيره ، ويعتاد ألا يعمل فقط ما يحب ، بل يعمل أيضاً ما يجب ، ويعمل ما تقتضيه التقاليد ، ويعمل خوف الاستهجان أو العقوبة أو نحو ذلك — يتعلم ذلك كله في أسرته وفي مدرسته ، وفي ألعابه وفي شارعه ؛ ويتولد فيه شعور وتفكير ورغبات للعمل للغير ، كما تولدت فيه من قبل هذه الأمور للعمل لشخصه .

ويرقى فيه الشعور بـ « نحن » إذا اتسع أفقه في الحياة العامة ، وتخرج من المدرسة وتولى عملاً ، وعامل

الناس ويتبادل معهم المنافع والمصالح ، فيشعر أن هناك أناساً غير أسرته وغير مدرسته وغير معارفه ، وأنه مرتبط بمعظمهم في التعامل ، ويشعر أن هناك مسئولية ملقاة على عاتقه نحو من يعمل معهم ، وأنه خاضع لقوانين البلاد ، وله روابط بقومه وأهل دينه ونحو ذلك ، كما يشعر أنه يجب عليه العمل ، لا كما يجب كالطفل ، ولا طاعة للتقاليد أو خوفاً من العقوبة كالفتى ، ولكن ليحصّل رزقه ، ويقوت به نفسه أو أهله أو من يعمل منهم ؛ وهكذا نراه يبعد بعض الشيء من «أنا» ويقرب من «نحن» ، ولكن في حدود ضيقة معينة .

فإذا نحن تخطّونا الدراسة «الرجال» وعظماء الناس ، رأينا استغراقاً وعمقاً في «نحن» ، وشعوراً في [illegible] رأينا الرجل العظيم الناضج يصل إلى درجة يرى معها أن لا قيمة لحياته إلا إذا ارتبطت [illegible] لإسعادهم ؛ لا يقتصر في [illegible] الأعمال المادية ، ولكن يمتع [illegible] الناس روحيًّا ونفسيًّا وماديًّا ؛ لا يرى أن مسئوليته هي نحو أسرته فقط ، ولا أصدقائه فقط ، ولا قريته أو مدينته فقط ، ولكن لأمته خاصة ، وللإنسانية عامة إن وسعه الجهد والكفاية ؛ هو واسع النظر ، عميق الفهم ، رحب الصدر ، يتسامح أمام ما يشل العقل من العصبية الوطنية والدينية والخلافات الحزبية ؛ يختبر حاجات الناس وأسباب شقائهم في الناحية التي هو معدّ لها ، ثم يوجه إرادته لرفع الشقاء عنهم ، وجلب السعادة لهم ما أمكن ، ويحمل مسئولية ذلك في لذة وسرور وتضحية ، ولا بأس إن كان فقيراً ، ولا بأس إن لم تكن له أسرة أرستقراطية ، ولا بأس إن لم يتسلح بقوة ، فهو يشعر أن نبل غرضه قوة فوق قوة المال ، وفوق الأسرة النبيلة ، وفوق أسلحة الناس .

إذا كانت جماهير الناس يعملون للأجر ، ويقوّمون العمل بالمال ، فإن أعطوا كثيراً عملوا كثيراً ، وإن أعطوا قليلاً عملوا قليلاً ، ويفاضلون بين عمل وعمل بقدر ما يجر من ربح ، فإن هؤلاء العظماء يعملون لأنهم يلذّهم العمل ، ويقوّمون العمل بمقدار ما يحقق من خير لأممهم وللإنسانية أجمع ؛ يتفانون في العمل ، ويعرضون حياتهم للخطر في سبيل مرض يكتشفونه ودواء يعالجونه به ، أو في سبيل تحرير العقول من أغلالها ، أو تحرير العقيدة مما أفسدها ، أو يحاربون الظلمة والطغاة لتحقيق العدل في الأمة أو العالم ، يحتملون في ذلك العذاب ألواناً ، لأن عشقهم للحق قد حجبهم عن الذات ، وهيامهم بـ «نحن» أنساهم حبهم لـ «أنا» . فإذا قال الطفل «أنا» ، وقال [illegible] الناشئ «أسرتي» ، قال الرجل «أمتي» ، أو «عالمي» ؛ وإن لذّ الناس بالعمل يربح ، فلذة هؤلاء [illegible] تساءلوا عند العمل : ماذا يجني [illegible] هو ؛ ماذا يستلزم العمل مني من الجهد ؟

قد منحهم الله قوة من قوته ، وقدرة على الخلق من قدرته ، يخلقون الناجح فيما حولهم ، ويبتدعون الجمال ينشرونه في دائرتهم ؛ فهم — دائماً — مصدر نفع وجمال ، حدّدوا غرضهم في الحياة ، فعلموا أنهم لا يصلون إليه إلا إذا فهموا حق الفهم دنياهم التي يعيشون فيها ، وطبائع نفوس الناس في الاستجابة للإصلاح والنفور منه .

يتلذّذون بتحمّل التبعات كما يلذ الجبناء الهرب منها ، يواجهون الصعوبات بابتسام ، ويتقبلون الهزيمة ربما يستعدون للوثوب ؛ أقوياء في خصومتهم ، صابرون في هزيمتهم ، كرماء سمحاء في انتصارهم ؛ آلوا على أنفسهم أن يكونوا قوة محاربة لشر المحيط بهم حتى يهدم ، وأن يكونوا ضوءاً يدافع الظلام حتى ينجاب ؛ يكرهون من أعماق نفوسهم المرض والجهل والفقر ، والسخافة

والتخريف ، وكل عيوب البشرية ، ومع هذا يرجون كراهيتهم لهذه الأشياء بالعطف على المكونين بها حتى ينقذوهم منها .

كافأتهم الطبيعة على حسن صنيعهم براحة ضميرهم وطمأنينة القلب ، لأن الطبيعة فرضت أن يكون الإنسان اجتماعياً ، وفرضت أن يتبع سنة الارتقاء ، فكافأت من جرى على سنتها ، وعاقبت من خالف قوانينها ؛ فإذا رأيت سأماً وضجراً بالحياة ، وميلاً إلى الانتحار ، وجنوناً بعد عقل ، وشقاوة نفس بعد سعادة ، فثَمَّ — ولا شك — قانون طبيعي خولف ، وطريق مستقيم عدل عنه .

* * *

ثم الأمر في النفس ليس كالأمر في الجسم ، فقد ينضج الجسم ويكتمل ، والنفس لا تزال في طفولتها [illegible] طفل ؛ فالشاعر كان محقاً حين قال : « جسم البغال وأحلام العصافير » ، وفي الناس [illegible] من هذا القبيل ، رجولة جسم وطفولة نفس ، ومقياس الطفولة الذي لا يتخلف هو ضمير « أنا » [illegible] رأيت لا شيء إلا « أنا » رأيت طفلا مهما كان جسمه وسنه ، وإن رأيت « نحن » كثيراً و « أنا » قليلا رأيت رجلا ، والرجال قليل .

هناك من ليس أمامه في الدنيا إلا جسمه ، يبحث حياته عن الأكل الطيب والملبس الطيب والنعيم الطيب ، وذلك كل تفكيره ، وكل سعيه ، وكل غرضه ؛ ركزوا في صحة جسمهم ونعيمه كل شعورهم ، وكل عواطفهم ، وكل ملذاتهم ؛ فإن عملوا عملا خارج هذه الدائرة فلهذه الغاية ، تعرفه بالإفراط في العناية بنوع ما يأكل ، ومقدار ما يأكل ، وبهندامه ومرآه في المرآة ، وبالحذلقة في حركاته وسكناته ونحو ذلك ، ثم لا شيء ؛ فهذا طفل كبير .

وإن شئت فخذ من هذا القبيل ناسكاً راهباً لا يفكر في أحد من بني آدم حوله ، ولا يهمه حال قومه سياسياً ولا اجتماعياً ، ولا يعنيه شقوا أم سعدوا ، ولا يحمل تبعة شيء ، ولا يصادق أحداً ، ولا همَّ له في الحياة إلا نفسه وعبادته ؛ أليس هو الآخر طفلا كبيراً شغلته « أنا » عن « نحن » ؟

وهناك من يحدد العالم بحدود نفسه ، إذا فكر فكر فيها ، وإذا عمل عمل لها ، لا يعنيه من العمل إلا مقدار ربحه منه ، خسر الناس أو كسبوا ، ولا يعنيه من الشر في عمله إلا خوف العقوبة ، فإن أمنها عمل ما شاء ليربح مالاً ، أو يكسب شهرة ، أو يحقق غرضاً من أغراضه لنفسه ، تعلم درس الأخذ ولم يتعلم درس العطاء ، وليست الدنيا كلها وما فيها إلا قنطرة يعبر عليها للوصول إلى [illegible] ، فهذا كذلك طفل كبير .

وهناك من [illegible] — كالطفل — من كل تبعة ، [illegible] القدر ، ولا زامر ولكن [illegible] له شيء متعب تنحَّى عنه [illegible] .

وهناك أسوأ من هذا : من رفع نفسه فوق الناس ، فهم لم يخلقوا إلا له ، ولم تخلق عيونهم إلا لتقع على مطلبه ، ولا آذانهم إلا لتصغي إلى كلمته ، ولا أيديهم إلا للعمل في خدمته ، يسير في الحياة على ما يهوى ، ويجب أن يسير الناس فقط على ما يهوى ، فهذا أيضاً طفل كبير ؛ وكم في الناس من أطفال كبار ، وهم في طفولتهم أشكال وألوان .

* * *

ارسم خطاً مستقيماً رأسياً ، وضع في أسفله « أنا » وفي أعلاه « نحن » ، وامتحن نفسك : كيف أنت في حياتك ، هل لا تنظر إلا إلى شخصك ، أو تراعي فيه مصلحة قومك ؟ وكيف أنت في علاقتك بالناس وعلاقة الناس بك ، وهل تؤدي زكاة مالك ، وزكاة عقلك ،

إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف:

الثقافة

والديمقراطية الاجتماعية

لقد استجابت النفس لدعوة الأستاذ خلاف إلى العمل، والذي لا شك فيه أن لجنة التأليف التي تضم ما يقرب من تسعين رأساً من رؤوس المفكرة تستطيع — على الأقل — أن ترسم الخطة للإصلاح الذي يعين حينه وتهيأت كافة النفوس لقبوله، بل والجهاد في سبيله؛ وأما التنفيذ و«النزول إلى الشارع» كما يقول السياسيون، فأمر يتطلب تضحيات، وددنا لو استطاعها الجميع أو طالبت بها نفوسهم.

هذا أمر تقتضيه كل نفس مخلصة. ولكننا إذ نبحث هذه الدعوة النبيلة نجد هجوماً [illegible] على ما يسميه بالترف العقلي، وهنا تبدأ أشد [illegible] وتلتقي في الحق خصومة حادة سبقنا إليها مفكرو أوربا؛ فأحزاب الشمال جميعاً تتعصب لما يسمونه «ثقافة الشعب»، ويعتزون بها الثقافة البرجوازية، وما يلحق بها. وهذا رأي مردود لسببين كبيرين:

فأولاً — من المعلوم أن الأساس الثقافي العام، هو أهم مظاهر الوحدة في الأمة، وهذا الأساس لا يمكن إلا أن يكون إنسانياً، فأنت قد تثقف الفلاح في الزراعة والنبات وتربية الحيوان، وقد تثقف الصانع في الميكانيكا والكيمياء وطبقات الأرض، والتاجر في الجغرافيا الاقتصادية ومبادئ الاقتصاد السياسي والقوانين؛ وقد يجيد كل منهم ثقافته، ولكنك ستنظر فإذا بهم لا يستطيعون أن يتفاهموا فيما بينهم، لأن أفق كل منهم العقلي ومواضع اهتمامه وسلم قيمه، بل وموضع إحساسه يختلف عن الآخر تمام الاختلاف؛ وهذا التنافر لا بد هادم لوحدة الأمة، وإذن فلا بد من أساس ثقافي مشترك [illegible] فيه، وهذا الأساس هو الثقافة الحرة، الثقافة الإنسانية التي يسميها الأستاذ ترفاً عقلياً. والأمم الأوربية أكثر [illegible] وأكثر تماسكاً منا نحن، لا لشيء [illegible] إلى منابع الإحساس ذاتها. [illegible] ما يسميه الأستاذ ترفاً عقلياً ليس كذلك في الواقع، فالعقل لا يعرف الترف؛ العقل جهد، وكل جهد من هذا النوع لا يقل نفعاً ولا ضرورة عن أي إشباع مادي، وإذا جهله الطالبون لأنه غير محدد النتائج. هذا الجهد يعمل في النفوس، وليس من شك

وزكاة عقلك، وزكاة كفايتك، أو تشح بكل ذلك، فلا تنفقه إلا لنيل أكثر تحصله، أو رجاء تنتفعه؛ وكيف أنت في نياتك ومقاصدك، هل يؤلمك بؤس الناس وشقاؤهم وفقرهم، فتتعاطف معهم، وتعمل جهدك لإسعادهم، أو أنت وبيتك، ثم على الدنيا العفاء! وحدد بذلك كله مركزك من الخط المستقيم، فإذا قربت جداً من «أنا» فهذا دليل الطفولة ولا عالة، وإن قربت جداً من «نحن» فأنت رجل.

هذا هو التقويم الصحيح للناس، وهو — مع الأسف — غير ما تواضع عليه الناس، إنهم يقدرون الرجل بماله وجاهه ومنصبه، وبكل شيء إلا قيمته الحقيقية؛ ولو راعيت هذا القياس الحق الذي ذكرنا لرفعت من شأن عامل بسيط على صاحب مصنع كبير، وموظفاً في الدرجة الثامنة على موظف في الدرجة الأولى، و[illegible] أولياً على سرير كبير، وكتاباً مخلصاً عن مخلص غير مخلص، وجندياً مجهولاً على قائد مشهور. ولكن أنى لنا الثورة الحقة التي تهدم نظام القيم الخاطئ لتضع مكانه نظاماً قيماً نظيفاً؟!

أحمد أمين

أن العمل في النفس لا يقل قدراً عن العمل في المادة ، وهو لا يقف عند تهذيب النفس والسمو بها ، بل يمتد إلى قدرتها الحقيقية على كافة أنواع الإنتاج . نحن في حياة اجتماعية ، وهذه الحياة مادية وروحية ، تقوم على العلاقات بين الأفراد ، ولكي تنتظم تلك العلاقات لا بد لكل فرد من أن يفهم نفسية الفرد الآخر ؛ وها نحن نختلط ونتقابل ونتحادث كل يوم ، ومع ذلك ليس أحدنا يفهم أخاه كل يوم . هناك قصور تام في فهم النفوس ، حتى بين خيارنا ، وفي هذا تعليل لعدم نجاح مجهوداتنا المشتركة وتضامننا الاجتماعي . وما يسميه الأستاذ بالترف العقلي ناسباً به إلى الأدب والفن ، لا يعني به في كافة أنحاء العالم وفي كل العصور غير فهم النفس البشرية ورسم صورة صحيحة للإنسان ؛ هو إظهار لخصائص الروح البشرية ، و[illegible] كشف عن قواها ، وإيضاح لتفاعلها مع الناس والأشياء . وما يبدو لبعضنا أنها أحقر أن [illegible] في فهم النفس البشرية على حقيقتها [illegible] أدوات العمل ، والمعرفة النفسية من أهم تلك الأدوات .

وأخيراً فليتصور الأستاذ الفاضل أي ضيق نفسي سيجده عندما يتصفح « الثقافة » كل أسبوع فلا يجد فيها غير أمراضنا الاجتماعية نولول حولها دون أن نستطيع في علاجها شيئاً ! الثقافة الحرة إن لم تمنحنا شيئاً ستنسينا على الأقل أشياء ، ستصرفنا عن أنفسنا ولو لحظات نستريح فيها من مشاغلنا المتعبة ؛ ورعاية الروح ما أظنها تقل قدراً عن رعاية الجسد ، وكثيراً ما تكون رعاية له أيضاً ، وهذا ليس ترفاً بل ضرورة حيوية .

بعد هذا التحفظ العام نستطيع أن نشارك الأستاذ في دعوته المفكرين إلى التفكير الاجتماعي والعمل على تحقيقه ، ولكن تفكيراً في هذه الناحية لن يجدي ما لم يعالج نظام الحكم في بلادنا .

بالنظر فيما يكتب اليوم في بلادنا نجد نزعتين : نزعة الديمقراطية الحرة Democratie liberale ، والنزعة الاشتراكية . وأصحاب النزعتين ، فيما أعتقد ، مخطئون ، وأخشى أن أقول آثمون في تضليل الرأي العام وصرفه عن الاتجاه الصحيح . ومصدر خطئهم أو إثمهم هو صدورهم عن التفكير النظري الغربي ونقله في تعصب أعمى له مواقع كثيرة لا تخفى .

فالديمقراطية الحرة تدعو كما هو معلوم إلى الحد من اختصاصات الدولة ، وإلى عدم تدخلها في الحياة الاقتصادية لأنها تخشى من اعتدائها على حرية الفرد . وهذا مذهب لو طبق في بلادنا لتخلفنا على ما نحن فيه من فقر وتخلف ، وذلك لما هو واضح من أن الأخلاق الفردية عندنا لم تعد تتضمن من الجرأة وروح [illegible] والصلابة والمثابرة والثقة بالنفس ما يضمن لها النجاح إذا تركت بغير رعاية الدولة ؛ [illegible] في أمس الحاجة إلى تدخل الدولة في كافة نواحي [illegible] كبرى الشركات لا تزال [illegible] حتى تنهض بها الدولة على نحو ما ، إما بالاستغلال المباشر ، وإما بواسطة شركات تضمن لها السيادة ، وإما بمزيج من النظامين . ونحن بالفعل سائرون إلى هذا . وأما الخوف على حرية الفرد واسترقاق الدولة له ، فهراء نظري في بلد كبلدنا ، أين هي تلك الحرية ؟ ورق الأفراد ، رق الفقر ، هل بعده رق ؟ ثم ما هي النظم التي تحمي الفرد من الدولة في بلادنا ، وقضاؤنا لا يزال ممنوعاً بحكم لوائح ترتيبه من الفصل في الخصومات بين الأفراد والدولة ، إلا فيما يخالف الشكل ! وكل ما يستطيعه حتى في هذه الحالة هو الحكم بتعويض . هل عندنا مجلس دولة على رأس قضاء إداري يضمن للفرد حريته وكرامته وحقوقه ؟

ثم النظر في نظامنا البرلماني ، وهو رمز الديمقراطية ؛ يقول الدستور : إن كل نائب يمثل ستين ألف نفس ! فهل أحصى أحدنا عدد الأصوات التي تعطى مثلاً لإحدى

أن الكثيرين من النواب في كافة العهود ينتخبون بما لا يزيد أحياناً كثيرة على بضعة آلاف صوت ؟ وهل لم يلاحظ جميعاً أن عدد الأصوات أقل ما يكون في المدن، مع أنها مقر أكبر عدد من المتعلمين ! وإذا صح هذا أو ما يكون في مقاطعة خيارنا الانتخاب والتخلي من أداء أخص واجبات المواطن الصالح ما يدعو إلى النظر ؟ وهل لهذا من علاج غير تدخل الدولة وجعل التصويت إجبارياً كما كانوا يفعلون بأسبانيا في عهد قريب، ومعاقبة المتخلف عن أداء واجبه، ولا أقول من استعمال حقه !!

وكل هذا يسوقنا إلى المناداة بتدخل الدولة étatisme لا بالديمقراطية الحرة التي لا تصلح لنا ولا نصلح لها.

ونترك الديمقراطية الحرة كمذهب سياسي لنتعرض للاشتراكية كمذهب اجتماعي : ولقد سبق أن أوضحنا في مقال بهذه المجلة بعنوان « بؤسنا [illegible] » [illegible] في بلادنا ليست مشكلة توزيع [illegible] أنه لو وزعت الثروة الموجودة الآن [illegible] بالتساوي لافتقر الجميع ولم يغن أحد، ثم إنه لكي تحقق الاشتراكية لا بد من سفك الدماء في أرجح، وهذا أمر إجرامي لا يمكن أن يفكر فيه عاقل، لا لأنه يتبع فحسب، بل لأنه كما قلنا لن يحل المشكلة.

وثمة أمر خطير آخر، وهو أننا الآن أمة ناشئة في الصناعة، وهذا يقتضينا إذا أردنا أن نشجع الصناعة في بلادنا، فنرفع الدخل العام ونخفف وطأة الفقر، أن نحارب الديمقراطية الحرة والاشتراكية الماركسية على السواء؛ نحارب الديمقراطية الحرة لأنها تقول « دع الفرد يعمل، ودع التجارة تمر ». ولقد سبق لست إمام العالم الاقتصادي الشهير، فأوضح بما لا يحتاج إلى مزيد أن الصناعات الناشئة لا بد لها من حماية الدولة، وأوضح مظاهر هذه الحماية هو فرض الضرائب الجمركية الواقية التي تحمي صناعتنا ضد الصناعات الأجنبية المنافسة القوية بحكم قدمها وضخامة رؤوس أموالها وتنظيم أسواقها، وإلا هلكت صناعتنا بما يسمونه الإغراق dumping ؛ وهو عبارة عن البيع بخسارة إلى أن تموت الصناعة المحلية، ثم تعويض الخسائر فيما بعد عند احتكار السوق. فهل تراهم يستطيعون ذلك ونحن دولة ديمقراطية صديقة للديمقراطيات الكبيرة التي تحرص على فتح الأسواق، وتنادي من الآن بذلك في بياناتها ؟ ونحن نحارب الاشتراكية الماركسية لأننا مع عطفنا على طوائف العمال نخشى أن تصل بهم الشهوة النقابية إلى شل صناعاتنا الناشئة بمطالبهم المسرفة. ومن المعلوم أن نقابات العمال في [illegible] الأوروبية التي نحذوها، لم تعد اليوم تكتفي بالمطالبة بتحديد ساعات العمل، وتحديد حد أدنى للأجور، والتعويض عن حوادث العمل، والتأمين ضد الشيخوخة [illegible]، بل أصبحت تطالب بالقضاء على نظام الأجور [illegible] وإحلال المساهمة في الأرباح محله، فهل تحتمل صناعتنا الناشئة كل ذلك ؟ وهل سيقبل أصحاب رؤوس الأموال نظاما كهذا ؟ ثم إننا نلاحظ طغياناً في أوربا من طبقة العمال على الطبقات الاجتماعية الأخرى كالفلاحين وأصحاب المهن الحرة ورجال الفكر، وفي كل هذا ما يخل بتوازن الأمة الاجتماعي.

وإذن فنحن من جهة نرفض الديمقراطية الحرة، لأننا لا نرى مبرراً في ظروفنا الحاضرة من دعوة الدولة إلى التدخل في كافة مظاهر الحياة، كما نرفض الاشتراكية لأننا ننكر وسائلها ونخشى طغيانها، ونعتقد أن استفحالها الآن قد يشل حركتنا الصناعية التي لا نرى علاجاً لمشكلة الفقر عندنا في غيرها.

وكل هذا يقضي بنا إلى المناداة بمذهب ثالث يتمشى مع آراء العقلاء منا، وهذا المذهب هو مذهب الديمقراطية

الاجتماعية ، تنادي بالديمقراطية لأنها تحترم الفرد ، وحرية الفرد ، وكرامة الفرد . ونحن نريد تلك الديمقراطية اجتماعية لتحقق عدلا اجتماعياً ، وهذا العدل لن يكون بغير تدخل الدولة ، وهذا التدخل لن يكون بغير التشريع ، والتشريع مصدره الأمة .

وهكذا ننتهي إلى أن من يريد أن يعمل لحل « المشكلة الملحة » من واجبه أولا أن يبحث عن مبادئ ذلك الحل ، وعن الطرق العملية لتحقيق تلك المبادئ . وثانياً ليست هناك طرق غير « النزول إلى الشارع » وكسب الرأي العام تمهيداً للوصول إلى السلطة الفعلية التي تستطيع أن تعمل . فهل أنتم مستعدون لذلك ؟ وأما نحن ؟ على أن أحتفظ عند ذلك بنفسي [illegible] أحرص به عن مرارة الجهاد ، أو أدعي ، تلك [illegible] .

عصابة البيت الأحمر

ترجمة الدكتور أحمد زكي بك

شرٌّ في القُرَاد

صناعة الطعم الواقي

وصل الثالث : البيت الأحمر معمل علمي في وشنجتن ، والعصابة التي فيه جماعة من أطباء الأطباء تشخصهم حكومة الولايات المتحدة ، يحاربون الأدواء حيث ما ظهرت في الولايات ، ودون المجيء الوقت في سبيل الواجب .

وأحد هذه العصابة الدكتور « اسبنسر » ، أشخصته الحكومة إلى [illegible] ولاية « مونتانا » ، إلى حيث [illegible] الحمى والتي « بتروطا » ، وهي حمى عالية تصيب [illegible] .

[illegible] « اسبنسر » ، [illegible] وزوجه وطفلين له ، وترك [illegible] تلك الولاية بجوار ذلك الوادي .

[illegible] ، وهو دكتور في علم [illegible] سنة لبحث هذه الحمى ، [illegible] من أعضائهم وضحية الحواشي ، ومن مات منهم ومن [illegible] على أنهم أثبتوا أن القراد هو سبب الحمى ينقلها إلى الإنسان بالعض ، وأن القراد يستمر في برد الشتاء نائماً [illegible] ، وأن آخر يسحق هذا القراد في حيوان [illegible] الرعي . فلما جاء [illegible] الربيع ، واستيقظ القراد سقط من ورق الشجر على أجسام الحيوانات في ذلك الوادي يشرب من دمائها حتى يشبع ، وعندئذ يسقط القراد . فإذا نظر سحق هذا القراد في حيوان التهب جسمه بالحمى ، كذلك إصابة الحيوان بالحمى إذا ترك القراد على جسمه زمناً يمتص ويتغذى . كذلك هم [illegible] القراد من بيضه ، ثم [illegible] وصغيراً [illegible] ، من حيوانات أحضاها الوباء ، وأثبتوا ذلك [illegible] مراراً وتكراراً .

والآن [illegible] :

في أواخر خريف عام ١٩٢٣ رجع « اسبنسر » إلى وشنجتن ، إلى ذلك البيت الأحمر فوق ذلك التل المشرف على النهر ، إلى موطن تلك العصابة الأولى التي منه يُشخصون وإليه يعودون . وحمل معه أحقاقاً تحتوي

بعضاً من أجناس مختلفة تحمل الشرّ من القُراد . ورأى منها اثنين اسمهما العلمي الضخم فاعلم أنه « دِرْمَاسِنْتُور أَنْدِرْسُونِي » Dermacentor andersoni . ولكن ما علينا منه ومن لاتينيته . وفي هذا البيت الأحمر لقي « اسبنسر » المديرَ « مَكُّوي » Mc Coy ، ولقي ذلك الرجل المحنّك « إدي فرانسيس » Eddie Francis ، ولقي العالم « موسى جُلْدبرجر » Goldberger . وقد تحسب أنه أتى لهم بأخبار ذلك الوادي المخوف ، وادي « بطروط » ، فحكى لهم ما يجري فيه من أحداث رائعة مريعة ؟ وقد تحسب أنه تفنّن في حكاية ذلك ، وأنه بالغ فيها قرأته وأطال ليثير في أنفسهم الخوف ويكسب منهم الإعجاب . فاعلم أن شيئاً من هذا لم يحدث . وما كان شيء من هذا ليُحكى لقوم عركوا الدهر ، وشربوا المُرّ ، ومارسوا التجارب زماناً فذاقوا شهدها ، وألفوا [illegible] حتى صارت المخاطر عندهم عادة ، وصار [illegible] واطّلعوا على ما جاء به « اسبنسر » [illegible] كثيراً ، فما تحرّكوا له ، حتى ولا تلك المجموعة في تلك الأحقاق التي رقّمها فأسماها « مجموعة ٢٣٥١ ب » .

في « بركر » بلدة « هملتن » في دار تلك المدرسة العتيقة ، وقد غطّتها ثلوج الشتاء ، يقوم بإدارة ذلك العمل مكان « اسبنسر » . ورحل « اسبنسر » إلى « وشنجتن » . وأخذ الرجلان ، هذا مشرّق وهذا مغرّب ، يقومان بنفس التجارب في نفس الأزمان وفي غير المكان .

وكان « بركر » ولّادة قراد ، فهو يستطيع أن يخبرك عن أي سلالة من هذا القراد كيف نشأت ، ومن كان أجدادها ، وما أحسابها وأنسابها . ومهر حتى صار يجعل القراد يصنع في المعمل ما شاء الخالق سبحانه أنه يصنعه وهو في الطبيعة طليقاً حرّاً . وحفظ « اسبنسر » بضاعته في محرز ذات رائحة من ذلك

البيت الأحمر العتيق ، وأخذ يفتّش أحقاق تلك المجموعة من القُراد ، مجموعة ٢٣٥١ ب ، وهي مجموعة ربّاها من سلالة ما انقطعت عن قُرادٍ صغير رتيء لا أبوّته له ، حتى صارت قراداً بالغاً يؤبه له ويُخاف لأن الوباء أُدخل فيه .

وكان « اسبنسر » قد أبقى هذا القراد الضامر الغرطاع الذي لا دم فيه ، قراد مجموعة ٢٣٥١ ب ، أبقاه في ثلاجة مائة واثني عشر يوماً لينام كما ينام شتاءه بين الثلوج في وادي « بطروط » بولاية « مُنْتانا » . واليوم حلّ يناير ، فأخرجها « اسبنسر » من أحقاقها ، فظلّت راقدة على منضدة العمل رقيقة ذابلة متقوّسة لا تتحرك [illegible] ، [illegible] إلى الموت بها . وكان قد مضى [illegible] الشهر على رضعها دم أرنب وثاء في قفص من تلك الأقفاص التي حرموها وربّوها في أقمشة بيضاء .

[illegible] « اسبنسر » [illegible] التقين من هذا القراد الجريء [illegible] في ماء مالح ، وحقن مرقهما في زوج من الخنازير الغينية . وبالطبع كان الوباء نائماً في القراد ، فلم يحدث للخنازير شيء ، إلا أن تكون صالت وانقضت وزالت ، وبقيت من بعد ذلك تنها بالصحة والسلامة .

كان هذا يناير . . . . أي أنه الشتاء . ولكن « اسبنسر » أراد أن يصطنع لها الربيع اصطناعاً . فأخذ اثنين أخريين من هذا القراد البريء النائم ، ذي الوباء النائم ، من المجموعة ٢٣٥١ ب ، فأدفأهما في مدفأة ذات حرارة كحرارة جسم الإنسان . وما انقضى النهار حتى رآهما يحرّكان أرجلهما الثمانية ، يستيقظان من سبات الشتاء استيقاظاً غريباً مدهشاً ، فأخذهما فسحقهما في الماء الملح ، كما فعل بسابقتيهما ، ثم حقن سائلهما في خنزيرين غينيين . فما الذي حدث من ذلك ؟

حدث أن هذين الخنزيرين الغينيين ظهرت فيهما أعراض الحمّى . إذن فمجرّد تدفئة هذا القراد الوبيء

الصغار تكفي لإسقاط الوباء فيه .

عندئذ أعاد « اسبنسر » التجربة ، فأرسل قرادات من نفس المجموعة في الحضّانة حتى حركت أرجلها ولبثت اليقظة ، ولكن بدلاً أن يسحقها ويحقن ماءها ، وضعها حيّة كلاً على بطون محلوقة لأربعة من الخنازير سليمة .

وشربت القرادات من دم هذه البطون حتى امتلأت واكتظت ، فأخذها « اسبنسر » بعد ثلاثة أيام ينزعها من بطون هذه الخنازير وقد أخذ الرعش يجول بها ، وأمسك القرادة من بعد القرادة بملقط ، وشقها بمشرط صغير ، فانبجس الدم وتطاير منها . قال « اسبنسر » : « نعم ، ولقد نال هذا الدم وجهي مرةً ورشاشه » .

وسحق « اسبنسر » هذه القرادات جميعا حتى جعل منها شيئاً ثخيناً لا يطيق لنظره ناظر .

وحقن هذا الشيء الثخين في خنازير غينية سليمة ، وعاد إليها بعد خمسة أيام في تلك [illegible] البيت الأحمر ، فرأى عجبا ، رأى تلك الخنازير وقد انتفخت جنوبها وهي تلهث وتموت . لقد قتل فيها [illegible] في نصف المدة التي انتظرها لقضائه على حيوان . فهذه قوة للشر جديدة في هذا الوباء الحي لهذه الحمى لم يعهدها أحد قطُّ من قبل ذلك .

كان في القرادة الواحدة من هذه القرادات من السم ما يكفي لقتل ثلاثة آلاف خنزير . فهذه القرادات كان الجرام منها يحتوي مائة قرادة . ولم يكن الجرام من الدم الوبيء (الذي حُفظ وباؤه في سلسلة متصلة من الخنازير) ليقتل أكثر من ألف خنزير . ولكن الجرام من سحيق هذه القرادات الجديدة ، قرادات المجموعة ٢٣٥١ ب ، كان يقضي على ثلاثمائة ألف خنزير ...

أفبعد هذا لا تأذن لاسبنسر أن يقشعر ظهره ويثلج بعض الشيء من جزع كلما فكّر في هذا القراد وما احتواه ، وذكر أنه هو الذي نشّأه على جهل به ووبأه ، في ذلك المعمل البعيد عن بلدة « هملتن » عند ذلك الوادي الوبيء ، وادي « البطروط » ؟ إنه لم يطلع على قوة هذا القراد الذي فقس ، ولكنه هذا السم الذي اصطنع حتى خفّفه ووزنه وقدَّر ما يحقن منه في كل مرة ، ثم أخذ يحقن هذا المقدار المرة بعد المرة ، والخنازير تظل تموت على الرغم من صغر المقدار الذي دخل فيها . وحتى بعد هذا تكشفت عنه حقيقة أخرى أشد إفزاعا :

أن الوباء الذي يعطيه القراد بإرضاعه رضعة من حيوان وبيء أشد فتكاً من الوباء الذي يحفظه في أجسام الخنازير ناقلا إياه من خنزير لخنزير . ولكن شرٌّ من هذا ، أن هذا الوباء القرادي الفتاك يستطيع أن يدخل الأجسام من طريق جلودها وهي سليمة غير مجروحة ولا مقطوعة !

وبقي « اسبنسر » سعيداً في جهالته ، وجلس ساعة [illegible] سجلات خطّ فيها ما خط من [illegible] الناجمة من الخنازير الميتة التي [illegible] المتولدة [illegible] كلاً من القراد ، مجموعة ٢٣٥١ ب . وبينا هو في تفكيره خطرت له خاطرة سريعة كبارقة في سحائب ...

خطر له أن يصنع طعماً تحصّن به من الداء أجسام الأحياء ! ولم لا ؟ وهل يمنع من هذا أن أحداً قطُّ لم ير بعينيه ميكروب هذه الحمى ؟ وهل يمنع من هذا أن أحداً قطُّ لم يزرع هذا الميكروب كما تزرع الميكروبات في أنبوبة اختبار ؟ بل لقد زرعوها . نعم زرعوها ، ولكن في غير أنابيب من زجاج . زرعوها في القراد ، ونقلوها وضاعفوها أضعافاً مضاعفة في القراد . فالقراد أنابيبها ، وإن تكن من غير زجاج .

وحلَّ الربيع ، ربيع عام ١٩٢٤ ، فودّع « اسبنسر » أصحابه ، أصحاب البيت الأحمر وشيوخه المتشككين ، ورجع مسرعا إلى ولاية « منتانا » ، إلى صاحبه « بَرْكر » ،

إلى ذلك المعمل أو تلك المدرسة العتيقة على مقربة من بلدة «هملتن». ورجع وقد تحقق أن الوباء الذي ينقلونه إلى القراد اصطناعا، ويربّونه فيه، أخطر عليهم كثيراً من القراد الذي ينال الناس فيعضهم في الطبيعة. ورجع وقد تحقق أيضاً أن لم يذهب الكثير من الناس إلى تلك الوديان الوبيئة، فيعضهم القراد فيها، ومع هذا يسلمون. لأن القراد لا بد له من البقاء على جلود هؤلاء الناس ساعات وأياما، ولا بد له من مص دمائهم طويلا ليستيقظ الوباء فيه فيقتل.

ولكن ليس هذا ما شغل باله وملك عليه فكره. وإنما الذي شغله وملكه رأيٌ جديد أسرع به إلى «بركر». وكان رأياً ظاهره سخيف. أن يقلب هذا القراد من شيء فتّاك إلى مُطعِّم واقٍ. ولم لا؟ أليس حَسْبُ هذا الوباء المستحر في تلك المجموعة من القراد، مجموعة ٣٣٥٩ ب، ورويته فيها ثلاثة [illegible] التي هي إرضاعه ثلاثة أيام من دم [illegible] لا يحجز هذا القراد بعضه في بعض [illegible] ويصب عليه قليلا من المطهّر المعروف، من الفينول مثلاً، ثم ... وعندئذ ربما .....

على أن «اسبنسر» بنى هذه الفكرة الجامحة على أساس علمي. ففي هذه السنة نفسها كان «برِينْل» Breinl و «أُسْتِرْيان» Austrian، قد نجحا في حماية الخنازير الغينية من التيفوس بحقنها بمصل فيه وباء التيفوس بعد أن خمّروه في محلول من الفينول. وبالطبع لا يستطيع أحد أن يجد من المصل كفاية لتحصين البالغين من الرجال، فالتجربة كانت تجربة علمية بحتة لا يمكن تطبيقها في الحياة. وقبل هذين الرجلين كان العالم المكروبي «ريكتس»، قبل ذهابه إلى المكسيك ليكافح التيفوس المكسيكي فيكافحه، كان قد حمى نفراً قليلا من هذه الحمى المبقعة بحقنه بمسحوق قرادة وبيئة حمضها في محلول الكلوروفورم. ولكن «ريكتس» لم يعش ليحقق نفسه أن هذه التجربة لم تكن فلتة واحدة من فلتات التجارب ومصادفة من مصادفاتها.

عاد «اسبنسر» إلى معمله، إلى دار تلك المدرسة العتيقة، يتحرق إلى إنفاذ ما اختطه من صنع هذا الطعم. وقد كان في العلم أسباب وجيهة يتكئ عليها المنكر لتسخيف الفكرة التي تريد أن تستخدم هذا المطهّر، هذا الفينول — أو حامض الفينيك على ما هو معروف به مشهور — لقتل ميكروب الداء، ومن سبب إلى الحمى إلى سبب للتحصين دونها. فقد علم «اسبنسر» و«بركر» كلاهما أن وباء هذه الحمى في دم الخنازير الوبيئة يُقتل فتنعدم آثاره إذا أضيف مطهّر إلى هذا الدم، أو إذا هو سُخّن تسخينا، وهو من بعد ذلك لا يحصّن الحيوان من الداء أبدا.

قال «اسبنسر» وهو يحاجّ نفسه: «ولكني صبراً! إلا أن [illegible] القراد قد يختلف عن هذا الذي [illegible] من الحق أن هذا القراد الرطب [illegible] الذي [illegible] من الشجر فتسحقه وتخلطه في الخنازير كان يحميها أحياناً من إصابة أخرى بالحمى؟!»

وحتى لو سلمنا بهذا، فالفكرة غير معقولة ولا مقبولة. فأنت لا تستطيع أن تغري الناس بأن تحقن بهذا الزرع القذر من القراد وحامض الفينيك. وهب أنك أغريتهم، فأنَّى لك بهذا القدر من القراد الذي يكفي لتطعيم كل من يخشى عليه من مقاربة الداء، من رعاة بقر ورعاة أغنام، ومن صيادين، ومن كل رجل من رجال الشمال الغربي من الولايات المتحدة يذهب إلى ذلك الوادي الوبيء الجميل، وادي «بطروط» وفاءً بواجب، أو استجابة لهوى.

ومضى أسبوع فإذا باسبنسر يتكل هذه الحماقة بارقة إلى أدقها في هذه التجربة الجديدة الغريبة — في صناعة هذا الطعم الواقي.

(تتبع)

أحمد زكي

التصوير عند العرب

التصوير كلمة لم تتخذ معنى محدوداً في لغة العرب ، وذلك لأن « الصورة » — وهي أصل اشتقاق التصوير — ليس لها معنى محدود ، فالصورة : الشكل والنوع والصفة وغير ذلك من المعاني لا يستلزم البحث ذكرها ، ومن هذا الاتساع قول الجاحظ : « ولولا أن أكون عيّاباً ثم للعلماء خاصة ، لصوّرت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة »(1) . وورد في اللغة أن التصاوير هي التماثيل ، والأصل في التصوير أن يجعل للشيء صورة كائنة ما كانت ، قال الله تعالى : « الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوّركم فأحسن صوركم »(2) . ووصف — جلّ من واصف — نفسه بالمصوّر فقال : « هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى »(3) ، فالمصوّر من الأسماء الحسنى ، ومن أجل ذلك [illegible] عندهم أن نجد من وصف نفسه « بالمصوّر » لقباً أو محترفاً .

ومما نذكر ها هنا — والقول ذو شجون — أن اسم « المصوّر » حُرّف في بعض النسخ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي إلى « السور » ، ونقله العلامة الشهيد(4) أحمد باشا تيمور محرفاً ، وحسب أن الموصوف به « كان أبرع الأكابر النابهين في فنه ، فاستحق شهرة أبى يعرف التاريخ به دون غيره من سائر كتبه »(5) . وقد ذكرنا ما يدل على أن الآداب الإسلامية تمنع أبداً مثل هذا الظن والحسبان . وقد اشتهر عند العرب والمسلمين منهم ومن غيرهم ، نَسَبُ « الدهان والزوّاق والنقّاش » بمعنى « المصوّر » ، قال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « 581 — 590 » هـ : « علي بن عبد الرزاق بن يحيى بن محمد بن علي أبو الحسن بن الجوزي الدهان ... وكان ما كنا مهيباً يزوّق الدور »(1) . وذكر والده في وفيات سنة « 585 » هـ ، وقال : « عبد الرزاق بن علي بن محمد ... أبو البقاء البغدادي الدهان أخو العلامة أبي الفرج ... كان مزوّقاً دهاناً .. سقط من السقالة ومرض مدة »(2) . وذكر غيرهما من الدهانين كالذي أورد ترجمته في وفيات سنة « 651 — 660 » هـ وقال : « محمود بن يحيى بن شعيب أبو الشكر البغدادي ابن الدهان ... كان يكتب الشعر(3) (كذا) ويزوقها »(4) ، والأدلة على ذلك طويل تعدادها .

وأما « الزوّاق » فقد ذكره أبو سعد السمعاني ، قال : « الزوّاق ... هذه النسبة إلى حرفة التزويق وتذهيب الأشياء [illegible] والسقوف(5) ، والمشهور بهذه النسبة أبو علي الحسن بن حاتم الزواق من أهل بغداد » . قال معلّق حواشي الكتاب هذا : « ومن المعروفين بالزواق عمر البناء ، أحد البغداديين الذين سكنوا مكة — شرفها الله — روى عن أبي بكر الشبلي شيئاً من كلامه ، وروى عنه أبو نعيم الأصبهاني »(6) . وقال ياقوت الحموي في ترجمة ابن البواب علي بن هلال : « يذكر أنه كان في أول أمره مزوّقاً يصوّر الدور ، ثم صوّر الكتب ثم تعانى الكتابة »(7) .

(1) البيان والتبيين : ج 3 ص 225 سنة 1926 .
(2) سورة غافر : الآية 64 .   (3) سورة الحشر : الآية 24 .   (4) النعت كله اصطلح عليها مؤرخو الفنون الشرقي بمعنى « الرسوم والفنون له » وما دل على معناها ، وما أجل كله « النعت » !   (5) التصوير عند العرب ، ص 103 ، وتراجع قول أحد الفضلاء في هذا الأمر ، ص 206 .

(1) تاريخ الإسلام ، مخطوط رقم 1582 ورقة 168 من دار الكتب الوطنية بباريس .   (2) المرجع المذكور ، ورقة 23 .   (3) كذا ورد ولعله « الدور » .
(4) المرجع المذكور ، ورقة 259 — 27 .
(5) كذا في المطبوع من الأنساب ، ورقة 277 ، ولعل الأصل « الأشياء المتنوعة » فكذا ذكرت العرب .
(6) ابن النجار في « التاريخ المجدد لمدينة السلام » ، مخطوط 2131 ورقة 226 — 227 من دار الكتب الوطنية بباريس .
(7) معجم الأدباء ، ج 5 ص 445 — 406 .

وقوله : « صورُ الكتب » جميل ، فهي كتب مصوَّرة .

وأمّا « النقّاش » فقال فيه السمعاني في الأنساب : « النقّاش ... هذه الحرفة لمن ينقش السقوف والحيطان ، وعُرف بها أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ... المقرئ النقاش الموصلي ... وأبو عبد الله هبة الله بن عيسى ابن النقاش البزاز من أهل بغداد ... وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن مرة المقرئ النقاش ... » . وذكر شمس الدين ابن خلكان في ترجمة أبي بكر النقاش الموصلي المذكور من وفيات الأعيان ، أنّ « هذه النسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرها ، وكان أبو بكر المذكور في مبدأ أمره ، يتعاطى هذه الصنعة فعُرف بها » . وذكر المقريزي في حوادث سنة « ٦٨٦ » من السلوك ، أنه « فيها جهّز السلطان قلاوون الألزر عدة نقّاشين إلى ملك المغول بأرض القفجاق ، ومبلغ ألف دينار برسم عمارة جامع قرم ، وأن يكتب عليه ألقاب السلطان ... لنقش ذلك وكتابتها — أي الألقاب — بالأصباغ .

والظاهر أنّ العرب الجاهليين من الحضر ... الزمان القديم في مساكنهم ومساكنهم ، فقد جاء في قصيدة الشاعر الهمداني التي وصف فيها قصر المشكل الكبير المسمى شرق وقصر ذي المنوة :

ترى كلّ تمثالٍ عليها وصورة
مبلّغةً ووجهاً في الصفائح ملاحظا
عجائب ما تنفك تنظر قائماً
لإحدى يديه في الخيال وباسطا
ومستلقيات من عقاب وأنسر
على أرنب وهْم وأفراخ قامط (١)
ومرت ظباء قد تلون عجمن
وتعصف رضراً قد تعانق أشمطا

(١) كذا ورد في الجزء الثاني من الإكليل الهمداني « ص ٥٤ » ، طبعة الأب أنستاس ماري الكرملي ، وهي الطبعة الأولى وفيها رداءة .

فهذه صورة من صُوَر الصيد لأحد الملوك الجاهليين ، وقد نقل العلامة السعيد أحمد باشا تيمور في كتابه « التصوير عند العرب » أخباراً من الهمداني غير هذا .

وكانت العرب تصوّر على الثياب والأكسية وغيرها صوراً تعرف بالتهاويل جمع تهويلة ، كأنها تهول من يراها ، قال بشر ويذكر الظعائن :

عليهن أمثالُ الخُدارى حلّةً
من الريط والرقم التهاويل كالدم

وقيل إنّ « التهاويل » الألوان المختلفة من الأحمر والأصفر والأخضر (١) ، ولكننا نرى القول الأول ، فإن البسط والأنماط والأمتعة كانت فيها تهاويل أيضاً ، وفي مثلها يقول الشريف الرضي فمن تحجب صورهم ...

صُوَرٌ ... لا ... نقشها مثل تهاويل النمط

وكان في الكعبة أيام الجاهلية صور للذين تقدم ... إبراهيم — عليه السلام — وصورة مريم ابنة عمران — عليها السلام — قال الواقدي : « وقد روي أنّ رسول الله — ص — محا الصوَر بيده . روى ذلك ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد ، قال : دخلتُ مع رسول الله — ص — الكعبة فرأى فيها صوراً ، فأمرني أن آتيه في الدلو بماء ، فجعل يبلّ به الثوب ويضرب به الصوَر ويقول : « قاتل الله قوماً يصوّرون ما لا يخلقون » (٢) » . وللخبر رواية أخرى بوجه آخر ذكره مؤلف « التصوير عند العرب » (٣) . وروى الرزاق بالواسطة عن أحمد بن محمد اليزيدي قال : لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان (٤)

(١) أساس البلاغة للزمخشري والصحاح للجوهري « هول » .
(٢) ابن أبي الحديد عبد الحميد في « شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢١٢ » . (٣) « ص ٣ و ١٩ » . (٤) الميدان الذي ذكر هنا كان قرب محلة الرصافة إلى قرب مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان وتربته معلومة عند أهل العراق ، أما ميدان عصرنا الحالي ، فهذا مستحدث في القرن الثاني للهجرة .

— وهو القصر الذى كان بالمباسة — جلس فيه وجمع أهل بيته وأصحابه ، وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج وجعل سريره فى الإيوان المفروش بالفسيفساء ، التى كان فى صدره صورة عنقاء ... »(١) . واستقصاؤه فى تاريخ العرب بحث طويل .

وقال أبو الحسن محمد بن عيسى الكرخى فى حمّام مصوّر :

أعجبُ بيتٍ تُريك باطنُهُ
جوارحاً أرسلتْ على الوحشِ
تغدو لصيد الظباء مسرعةً
كأنها فى غياضها تمشى
طيورُهُ قد تقابلتْ نسقاً
كأنها وقّعٌ على العشِّ
فما له طابَ فسحةً وهوىً
متصلٌ ...
وأنت فى حلوة مساعدة ...

وقال أبو على الحسن بن أحمد بن أبى الدمن العسقلانى فى صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم عند باب الصوارف بعسقلان :

لو ذُقنا طعم الفراق لما أضحت
تضحكنا الدنيا بوشك فراق

فى أبيات . فما مضى لهذا الشعر إلا سنة أو نحوها حتى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم الكنائس ، فهدمت وهُدمت معها هذه الكنيسة ، وأزيل الشخصان ، فقال :

طويا كأمس شيئين تعانقا   وتفرّقا من بعد طول عناق(٢)

وفى غرة ذى الحجة من سنة « ٥٤٧ هـ » خُطب ببغداد لولى عهد الخليفة المقتفى لأمر الله ، وهو ابنه يوسف الذى لقب بالمستنجد بالله بعد ذلك ، وعُلّقت بغداد ، أى زُخرفت ، فعمل الذهبيون — وهم الذين يشتغلون بدار الضرب — قبة على باب الخان العتيق عليها صورة مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى ، وخاص بك بن بلنكرى الأمير ، وعباس الأمير ، وغيرهم من الأمراء بحركة ، أى خيمة مقيدة بدور ، وعلّق القاضى سعيد الدين يحيى بن سعيد بن المرخّم قبة فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركة ، وعلّقت بنت قاروت بباب درب المطبخ قبة فيها صورة السلطان (مسعود) وعلى رأسه شمسة(١) ، وعلق ترشك الأمير قبة على سطح داره قائمة على تماثيل صور أتراك يرمون بالنشاب(٢) . وفى مثل هذه الأخبار يكثر التصحيف ، فتكون الحركة « حركات » ، و « بنت قاروت » غير ذلك .

وقد رأى ابن جبير الكنانى فى مسجد الرسول — ص — سنة « ٥٧٩ » تصاوير أشجار محكمة ، قال : « والنصف الأعلى من الجدار (جدار القبلة) مجزّع كله بفصوص من الذهب المعروفة بالفسيفساء ، وقد تنفق الصانع فيه صنعة غريبة ، تضمّنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات ، مائلات الأغصان بثمرها ... والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك ومن جهة الجوف أيضاً ، والغربى والشرقى الناظران إلى الصحن مجزّعان أبيضان ومفرّشان قد زيّنا رسماً يتضمن أنواعاً من الأصبغة إلى ما يطول وصفه وذكره »(٣) . وورد فى أخبار الخليفة المقتدر بالله أنه علق فى قصوره كثيراً من الستور الديباج المذهّبة المصوّرة بالجامات والفيلة والخيل والسباع والجمال والطيور(٤) .

ومما قدمنا من الأخبار يظهر للشك تحقّق أن الصحابة

(١) الحريرى فى « الوشيح ص ٢٠٦ » .
(٢) الثعالبى « يتيمة الدهر ج ١ ص ٦٨ » .
(٣) ياقوت الحموى فى « معجم الأدباء ج ٠ ص ٤٣٨ » طبعة مرغليوث .

(١) الشمسة هى الجتر والمظلة .
(٢) ابن الجوزى فى « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٤٤ — ١٤٥ » وفى كتاب « التصوير عند العرب ص ٢٠ » مثل هذا الخبر منقولا من كتاب « تاريخ الدول والملوك » لناصر الدين بن الفرات .
(٣) تقييد سياحة ابن جبير ورحلته « ص ١٧٩ » من طبعة مطبعة السعادة .
(٤) الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد ج ١ ص ١٠٢ » .

بالتصوير على الورق وعلى غيره مما يدل كانت معدومة ، على الضد مما هو شائع في عصرنا ، ولعل السبب في ذلك قلة الورق القابل لأن يصوّر عليه في عصره . ومن العجيب ما ذكره الخطيب البغدادي : أن بغداد صُوّرت لملك الروم أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها غربيها وشرقيها ؛ والجانب الشرقي صوّرت شوارعه ، فصوّر شارع الميدان وشارع سويقة نصر بن مالك من باب الجسر إلى الثلاثة الأبواب والقصور التي فيه والأسواق والشوارع من سويقة نصر إلى قنطرة البردان ، فكان ملك الروم إذا شرب دعا بالصور فشرب على مثال شارع سويقة نصر ويقول : لم أر صورة شيء من الأبنية أحسن منه (١) . ولم يذكر لنا المؤرخ مَن صوّر لملك الروم بغداد وعلام صوّرت ؟

ورأيتُ في ترجمة الأمير الحكيم عز الدين أبي سعيد بقدي بن شرف الدين علي بن الملك جمال الدين قاضي البغدادي المتوفى سنة « ٦٨٥ » ، ... الزردة والبيطرة والصيد والقنص ... وحضر بين يدي السلطان هولاكو وقد صوّر نفسه في أول ... وجمّل لحيته بيضاء ، فقال له هولاكو : أنت شاب فما معنى البياض ؟ قال : أرجو أن أعيش في دولة الإيلخانية (٢) .

والتصوير في الإسلام مختلف في جوازه لشكل ذي حياة ، والكلام في هذا الموضوع معروف منه ، وليطالع مَن به حاجة إلى الاطلاع على ذلك « باب تعليق الستور ذوات التصاوير والنهي عنه » من كتاب أبي بكر الحازمي الهمذاني « الاعتبار » (٣) ، فالعالم الإسلامي لم يُحرِّم فيه تصوير ذي الحياة إلا في عصور المتشددين من الخلفاء والملوك ، والظاهر أن عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي كان عصر تساهل في هذا الفن الرفيع ، وأنه كتب الحازمي كتابه المذكور فيه ، لأننا عهدنا وجود صورة إنسان قاعد في أعلى باب الحلبة من أبواب بغداد الشرقية ، قد نُشئت سنة « ٦١٨ » هـ من خلافة هذا الخليفة الأوحد في عظمته ، ثم جدّ تصوير أحوال المقامات الحريرية كما في النسخة المرقومة « ٥٨٤٧ » التي بدار الكتب الوطنية بباريس ، وكان ناسخ هذه النسخة ومصورها هو يحيى بن محمود بن يحيى بن كوريها (١) الواسطي . وفي دار الكتب المذكورة الجزء الخامس من كتاب ربيع الأبرار ، رقمه ٦٧٤٣ ، وهو مكتوب بيد الواسطي المذكور ، وفي الورقة « ١٢٠ » منه ما هذا نصه : « تم الجزء الخامس من ربيع الأبرار ، واتفق الفراغ منه سابع صفر المبارك من سنة تسع وأربعين وستمائة . كتبه ورسمه يحيى بن محمود بن كوريها » (٢) . وفي الورقة ١٢٣ أشكال إلى نفسه ... (٢) .

(...) **مصطفى جواد**

(١) ... كوريها ... كوريه .
(٢) ... الأدب ، مخطوط من المخطوطات ج ١٠ ص ٦١ .

---

(١) المرجع المذكور ج ١ ص ٩٩ .
(٢) ابن الفوطي في « مجمع الآداب في معجم الألقاب » ص ٢٢٨ من نسختنا المخطوطة .
(٣) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار « ص ١٨٧ » طبعة المطبعة المنيرية .

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك عن سنة أشهر

٤٥	في مصر والسودان
٣٧/٥	الطلبة ومعلمي الإلزام
٦٠	في البلاد الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥	في البلاد الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١٥ مليما

لعب المنـــار

لعب المنار أو حرب العجم ، مسرحية مصرية ترجع إلى القرنين الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي ، وهي من هذا النوع الذي وضع خصيصاً لفن خيال الظل ، والذي سبق لي أن عرضت له في الثقافة من قبل[1] . ومسرحية اليوم التي عالجت الحروب الصليبية حتى سميت بحرب العجم ، ووقعت حوادثها في الإسكندرية ، فأطلق عليها لعب المنار ، لم تصلنا كاملة ، وإنما كان قد وصلنا جزء كبير منها في مخطوطة للشيخ سعود ، والشيخ علي النحلة ، وداود العطار . وقد سبق الكلام عنها في مسرحية (لعب التمساح) التي تحدثت عنها في العدد ٢١٣ من هذه المجلة .

وداود العطار أو المناوي الذي كتب هذه المخطوطة ، ودوّن فيها النصف الكثير من أزجاله ، هو أحد أدباء مصر الذين عاشوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وهو الذي أسندت إليه رئاسة فرقة [illegible] التي سافرت عام ١٦١٢ — بعد أن أقيمت لها الحفلات الكثيرة في بولاق والإسكندرية — إلى استنبول لإحياء حفلات زواج الوزير التركي محمد باشا السابع الذي حكم مصر حتى أغسطس عام ١٦١١ بكريمة السلطان العثماني أحمد الأول (١٦٠٣ — ١٦١٧) . ويحدثنا المناوي عندما أنه تشرف بالمثول بين يدي السلطان الذي أجزل له العطاء ، ومن ثم عادت الفرقة في عام ١٦١٣ إلى مصر عن طريق دمشق والقدس .

وتبدأ هذه المسرحية بعرض منظر تتلاطم فيه الأمواج وهي تتكسر على جزيرة فاروس التي أقيمت عليها المنارة عند مدخل الإسكندرية ، ومن ثم يظهر شخص على المسرح يسمى الطارق ، فيستقبل المنار ويقول : الذي نظم به الرئيس الأستاذ الحاكم على ما المينة ومالك البلاد ، أي بعد أبو السداد ، مقدم على الوارد ، والشارد والوارد ، وبعد أن يفرغ من هذه المقدمة ينشد الطارق الآتي في وصف المنار :

سعود الأديب يا صاح للقدر عجز الفصاح

بيت

انظر ذا المنـــار بالساني تلقى عمود له بنيانه
من بلور وفي مرجان نقشه بالذهب وضاح

بيت

له سلم تراه معقود مبني بالحكم مرصود
كم جا له حربي مكمود زالت عنه الأرواح

بيت

وانظر باب شريف قد كان من حوله رجال أخيار
لما يشهروا البتـــار يحكمو الجما سراح

بيت

[illegible] فتابل وله منظر
[illegible] باح مكسور ذليل منجاح

بيت

[illegible] قناديل على الأبواب
[illegible] نيام حتى الصـــباح

بيت

وانحقق ترى بالصين منظرف حسن في الترجيح
حـــراس رجال يا زين رموا الكفر المنشـــاح

بيت

باب الوسط ما مثلــه في حسنه ولا في شكله
له وردا زهت نمـــلو على من يكن منجاح

وبعد أن وصف الشيخ سعود المنار وصفاً دقيقاً ، وتحدث عنه وعن أبوابه والنقش الذي يعلو واجهته ، تحدث عن آلات الدفاع المختلفة فقال :

فوق الواجهـــة يا مجاد سيوف الجهـــاد يا جواد
وفيهم درق فـــولاد كم بهم بطل قد صاح

بيت

ومن فوق علاه يا زين راني لم ترع بالعين
لو جاء كل يوم ألفـــين خـــلاهم بلا أرواح

(١) الأعداد ٨٠٩ — ٨١٠ .

وبعد أن سرد مختلف أدوات القتال المقبلة ، ختم بليقه بقوله :

واطر منجنيق صاعد قاعد القصد رابض
للكافر والمجاهد يا لله بخطفو الفتايح

انتهى الحازق من إنشاده ، والتفت فإذا بمركب من النوع المعروف بالغراب ترسو ويخرج منها رجل مغربي . وبعد أن نقرأ وصفاً جميلاً لهذه السفينة يتقدم المغربي على المسرح وينشد بليقاً يخبر فيه المسلمين عن الصليبيين ، والاستعدادات التي يقومون بها لمهاجمة المسلمين ، وقد جاء في هذا البليق وصف شامل لسائر البلاد المسيحية التي اشتركت في الحملة ، وما يجب على المسلمين عمله لمحاربة الصليبيين . وبعد الفراغ من إنشاد هذا البليق يتقدم الحازق ويطلب (ميموناً) الزعيق بالنفير ، ويشكر القوم لنوع رسالة المغربي ، وقد استهل الحازق خطابه بقوله :

صبحوا على ميمون أخي يحيى وزعق بالنفير

* * *

ذا المغربي الذي قد أتى [illegible] من البلاد
قد جا يخبر يا رجال من الشام أهل العناد
قصدى اجمع العسكر لهم لعمل خطر المراد

وبعد ذلك نراه يحدد لنا حكمة الجهاد ، وما أعده الله للمسلمين والمجاهدين في الآخرة فيقول :

يا عصبة الدين والصلاة يا مسلمين يا أهل الصيام
قوموا إلى الفرض اللذى قد افرضوا رب الأنام
فمن يبادر يلتقى له في الجنان أعلى مقام
مع الكرام أهل التقى وينجبر فانه الكسير
صبحوا على ميمون أخي
سلطاننا بالله انصروا على الطغاة المشركين
وأبشروا يا خالق بالفتح والنصر المبين
وسائر العسكر جميع في حفظ رب العالمين
والحاضرين في ذا المقام يكون لهم رب نصير
صبحوا على ميمون أخي يحيى وزعق بالنفير

وبعد الفراغ من هذا الإنشاد تجتمع جيوش المسلمين ويحضر الجاحد من قبل النصارى ، ويخبر المسلمين من قيام الحرب ، ورغبة الصليبيين في الاستيلاء على مصر والإسكندرية . فيدور حديث فكاهي بين الحازق وبين شخص آخر يدعى الزخم ، وفي هذا الحديث نرى تصويراً فكهاً للمتحاربين .

يقول الحازق : تعال يا بو القطط ، تلاته ما تقاتل . يقول الزخم : ما يكونوا ؟ يقول الحازق : عريان وجعان وخايف ! عندك شيء يا بو القطط من قول ؟ يقول الزخم : ما كتبين عندى ورق طبقة والطبقة عاريه . يقول الحازق : إقف يا بو القطط أنا أجيب لك جماعتى . يقول الزخم : أجيب لك جماعتى . يقول الحازق : جماعتك يجوا إيش يعملوا ؟ يقول الزخم : وانت لآخر جماعتك يجوا إيش يعملوا ؟ يقول الحازق : جماعتى يجوا يقاتلوا . يقول الزخم : وأنا لآخر جماعتى يجوا ياكلوا . يقول الحازق : أنا أقول جماعتى يا جماعتى [illegible] يتقدموا في طاعة رب العالمين ، وذا يجى بسيفه ، وذا يجى [illegible] ، وذا يجى بدرقته ، وذا يجى برمحه ، ويعملوا [illegible] بالنبال والقتال في المشركين . يقول الزخم : وأنا أنبط على جماعتى يا جعانين يا عطشانين ، عليكم بسماط صاحب الفرح فيه حلو كثير ، وعمل رز كثير ، وعمل لحم كثير ، ذا يجى بقصعته وذا يجى بلقنه ، وذا بطاجنه وذا بصحفته ويهجموا على السماط . .

ثم يتحمس الجيشان وتدور الدائرة على الصليبيين ، فيظهر على المسرح شخص وينشد بليقاً جاء فيه :

جلتي الظلام قد انكسر وجيش الاسلام انتصر
بيت
انروس على أهل الرماح والبعض موسومين جراح
وللمسلمين زانوا السلاح وصيروا الكفار عبر
بيت
وانظر ترى كم قوم أسار مستبشرين في انكسار
ذاقوا العنا والاحتقار والهم والضيق والضرر

المصير الأخير...!

... في هدأة الليل كان يسير.. كان يحمل جسماً واهياً ينطوي على قلب كسير!

وكان شاباً... وكان كهلاً!

... أما الشباب فكانت نفسه فيه كشمعة خافتة تتحدر من مكان بعيد!... متقطع الأنفاس... وكان ثمة شعلة خابية تلوح أيضاً من بعيد كأنها تستحث الذي على التقدم!

... أما الهرم فكان يلفه في رداء أسود كثيف...

ونظر إلى ما حوله... كل شيء يوحي بالكآبة — حتى هذه الأضواء الباهتة القصية، كانت تترنح وكأنها تعكس صورة قلبه الذابل الكسير!

أي كهف كان يدلج في شعابه ويعتسف الطريق [illegible] أي صحراء جرداء كان يقطر فيها قلبه ما بقي من دماء تمتصها الرمال الظامئة في جوف البيد! أكانت هذه الرمال الناعمة تترنح؟!... أكانت تصطبغ بهذه القطرات القانية؟!....

كلا... إنها... إنها في سبات عميق... منذ الأزل البعيد!

... وكم دبت فوقها أقدام... وكم داعبتها آمال.. وكم انسدلت فوقها شعور... وكم استرخت فوقها أجساد.. وكم تفتتت من بينها مشاعر، وكم لفحتها أنفاس... وكم... وكم....

... وهي... هي، خالية في خشوع لا تريم!!

***

آه من سبات القلب، وشيخوخة البدن! آه من سموات الفكر وعثرات الحب! آه من المجرات الطليقة والحدود [illegible] الإثم والضراعة، آه وآه ثم آه.

[illegible] كثيرة، طاقة حية تحمل قلوباً.. قلوباً دبت ثم عراها الذبول، وحييت ثم تملكها الإعياء، وغفت تصحو على لذع جمرات الحب المحرق المحترق، وما أقسى الحب! وما زالت في يقظاتها وغفواتها لا تستقر ولا تريم!

***

... ومع ذلك... فكل شيء جامد حوله، تمشي البرودة في جسده، حتى ليكاد يجمد منه دم العروق والشرايين...

وإن البرودة لتسري وتسري حتى تشارف قلبه... قلبه الكسير الكسيح!

... وإنه ليشفق من هذه الدقات الباهتة، لأنها تنذره بالمصير الأخير!

عبد العزيز الكرواني

بيت

واظهر جيوش الكيبلاني   من الهنود [illegible]
وحيتهم بالقرب غائب   وأرواحهم تشحب سقر

بيت

وروس أسرابهم جميع   بإذن مولانا السميع
وانظر تراهم يا شجيع   نمر ومن طبو نمر

بيت

وأهل قبرص الشآم   من حربنا ذاقوا الحمام
والمغربة يا كرام   على الذي الدين كفر

بيت

وانظر تدبيره كبار   دموعهم تجري غزار
وكل واحد في افتكار   للخلق يشخص بالنظر

ويستمر في عرض مختلف الشعوب التي اشتركت في تلك الحروب بأسلوب فكه ونكتة مصرية.

دكتور فؤاد حسنين

بين المجلة والقراء

حياة دزرائيلي

حضرة صاحب العزة الأستاذ الفاضل أحمد أمين بك

بعد التحية ، فرغت بالأمس من مطالعة كتاب « حياة دزرائيلي » الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر . وقد لاحظت عليه بعض ملاحظات أحببت أن أبعث بها إليكم لمعرفة رأيكم فيها : —

أولا — كان يودي لو مهد المعرب بترجمة موجزة في نحو الصفحة من حياة دزرائيلي مرتبة على سنوات التاريخ ، كما فعلتم في ترجمة المغفور له حافظ إبراهيم بك في أول ديوانه — وذلك لأن الكتاب أغفل تاريخ مولد دزرائيلي ، كما أغفل ذكر بعض السنين التي وقعت فيها بعض الأحداث الهامة في حياته .

وهي من المعروف أن تعريب الكتاب [illegible] يستفيد منه أبناء اللغة العربية [illegible] اللغات — إذ يجدوا أن الثقف [illegible] عند الرجوع إلى أي معجم [illegible] دزرائيلي وسواء من رجالات الغرب . وفي ذلك يعسر على من لا يعرف لغة أجنبية — وهم كثر كما تعلمون — فيفوت الغرض الأساسي من تعريب الكتاب .

ثانياً — كنت أحب لو عني المعرب أو عنيت اللجنة بالإشارة إلى بعض الأعلام التي وردت في الكتاب ، والتي يراها القارئ ومن نحو ألمته مبهمة ، بخلاف من لا يعرف لغة أجنبية — وإليكم بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

ا — في ص ٢٢ ذكر تشيلبو والبيروني . فأما الأول فقد يجهله بعض الناس لا له من أثر بارز خالد في تاريخ فرنسا — وأما البيروني ، فكم منهم يعلم أنه كان قسيساً إيطالياً ووزيراً لأسبانيا .

ب — في ص ٨٣ ذكر خيط أرياد ، وهو تعبير فرنسي مشهور ، ولكن أبناء العربية لا يعرفون أرياد

ولا خيطها . وكتابة سطرين في آخر الصفحة للتعريف بها كان أولى من ترك العبارة كما هي .

ح — ذكر في ص ١٠١ أن زوجة دزرائيلي سألت عن عنوان سويفت لتدعوه للعشاء . والعبارة كما وردت لا تحدث الأثر الذي تحدثه أمامها الأجنبي ، ولكن لو ذكر في الهامش أن سويفت هذا كان كاتباً إنكليزياً — وأنه مات سنة ١٧٤٥ م — أي قبل نحو مائة سنة من تاريخ ذكره أمام زوجة دزرائيلي ، لو ذكر ذلك ، لدل على ما أراده المؤلف من بسط جهلها وعدم ثقافتها .

ثالثاً — في ص ٢٦٣ غلطة — ربما كانت من الطبع — وهي ذكر أن أسهم قناة السويس التي باعها الخديوي — ١٧٧ سهماً — مع أن الحقيقة أنها — ١٧٦٦٠٢ سهماً — والفارق كبير ، كما أن هذه المسألة تكاد تكون الوحيدة [illegible] من حياة دزرائيلي ، فكان من المستحسن [illegible] .

[illegible] في ص ٢٢٢ عبارة : ثورة الغضب التي [illegible] الانكشارية والوردبكو نسقيلك [illegible] الانكشارية سبق قلم من المؤلف [illegible] العرب — فالمعروف أن الانكشارية أبادهم السلطان محمود سنة ١٢٤١ هـ : ١٨٢٦ م أي قبل نصف قرن من تاريخ حوادث البلقان .

هذا من جهة — ومن جهة أخرى ، فإني أرجو لو تفضلتم بالإدلاء عن المقصود من جملة (تاريخ القهم) التي وردت في ص ٢١ فقد أشكل علي فهمها .

كذلك جاء في ص ١٠٣ عبارة : (ولا يمكن لسكل ذهب أوفير أن يدفعني إلى المذبح) ، والمعروف عن أوفير أنها مناجم سيدنا سليمان الذهبية . ولكن ما المقصود من المذبح ، وأي مذبح هو ، وما مغزى هذه العبارة ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

روضة خيري باشا — شبرا مصر — أحمد خيري

« الثقافة » : إلى الأستاذ مترجم الكتاب بتفضل بالإجابة عن هذه الأسئلة .

حول كتاب :

الفن ومذاهبه في الشعر العربي

تفضل زميلي الدكتور عبد اللطيف حمزة فعلق — في العدد السابق من الثقافة — بآراء حول كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي . وقد كنت أودّ أن أدع له آراءه يكونها كما يريد ، فمن حق كل شخص أن يؤلف لنفسه صورة مما يقرؤه ، وأن يقف منه موقفاً سلبياً أو إيجابياً . غير أني رأيته يستطرد فيهاجم الفكرة الأساسية في الكتاب ، وهي فكرة وضع مذاهب فنية تفسر صناعة الشعر العربي في أطواره المختلفة ؛ وقد استعان في إحكام هذا الهجوم بفكرة الأصالة التي تمثل في رأيه الشعر وأصحابه وعباقرته ، بحيث لا يستطيع [illegible] تشابه شاعر مع شاعر ، أو تقسيم [illegible] بعيد ، لأن الشعراء يمشون في حياتهم الفنية منفردين لا مذهب يجمع بينهم ولا مدرسة .

ليس في الشعر العربي مذهب ولا مدرسة ، وكل بحث يرمي إلى إثبات ذلك ، مهما اتخذ من صرامة ومقاييس ، فهو بحث باطل ، أو هو على الأقل بحث يتردى بصاحبه إلى تعميمات وأخطاء في الأحكام الأدبية ، لأنه يوصل مذاهب ومدارس هي مزاعم وأوهام لا أصل لها ولا فرع في الفن العربي ، فإن من يتأمل فيه يلاحظ أنه أثر من آثار الجهود الشخصية ، وليس أثراً من آثار التطور الذي يحدث المذاهب والمناهج . يا لها من دعوى خطيرة تهدم كل تنظيم قام به المحدثون في دراسة الشعر العربي وبيان أطواره ومذاهبه ؛ بل إنها لتهدم كل ما قام به أسلافنا من تخطيط مذاهب الشعراء وبيان مناهجهم ، لماذا ؟ لأنه ليس هناك مذاهب ولا مناهج في حقيقة الأمر ، إنما هي أشياء تكلفها النقاد القدماء والمحدثون من نقاء أنفسهم !!

وإذن فليحطم النقاد أقلامهم ، وليلقوا كتبهم وأبحاثهم في آثار الشعر العربي ، لأنهم لم يلتفتوا إلى قانون الأصالة الساحر الذي يعرضه علينا الدكتور عبد اللطيف عرضاً خلاباً لا يكاد يُبقي في نفوسنا ولا في عقولنا بحثاً منظماً قرأناه أو درساً مؤصلاً سمعناه . وهل بقي في أيدينا شيء من عمل قديم أو حديث في دراسة الشعر العربي وتفسير أطواره ومذاهبه ؟

إننا لن نستمع بعد اليوم لأحكام أبي الفرج في عقد المشابهات والمشاكلات بين الشعراء في أغانيه ، ونحن أيضاً لن نستمع بعد اليوم لما يرد في كتب النقد العربي من أصحاب المذاهب القديمة والأخرى الحديثة ، لن نستمع [illegible] الآمدي في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، ولا إلى ما يقرره الجرجاني في الوساطة بين [illegible] وخصومه ؛ لن نستمع — وبيد الدكتور عبد اللطيف — [illegible] كل الأبحاث الأدبية الطريفة [illegible] ابن المعتز ، وقدامة ، والباقلاني ، والعسكري ، وعبد القاهر ، وابن رشيق ، وابن الأثير ، وأمثالهم ، ما داموا يستبيحون لأنفسهم هذه المنطقة الحرام ، منطقة الشعر والفن يخترعون لها هذه المقاييس المنكرة التي نكشفها ونفسرها تفسيراً مبيناً .

يا أسفاه ! لن نقرأ بعد اليوم في كتب تاريخ الشعر العربي التي تمس نقد الفوارق بين الشعراء من مثل الأغاني واليتيمة ، وكذلك لن نقرأ في كتب النقد العربي لأنها كتب تحتوي أخطاء شديدة إذ تشير إلى مذاهب ومناهج لا أساس لها من واقع مادي ، وأيضاً نحن لن نقرأ في الكتب التي تصف صناعة الشعر والتي كان القدماء يسمونها كتب البلاغة ، لأن ذلك كله ينتهي بنا إلى خطأ التعميم في الأحكام الأدبية !

كلا ! لا تخرجوا أيها الأصدقاء القدماء من قبوركم ، ستظل تحتفظ بكم وبكتاباتكم ؛ وإن اختصمنا بعد ذلك

مع صديقنا الدكتور عبد اللطيف أنت الحرص كله ، والاطلاع الكثير ، وما أنجزته من أسرار الفن في الشعر وأساليبه ؛ فإن أثرتم عائدين إلى مدرسة زهير في العصر الجاهلي ، أو أثرتم إلى مدرسة البديع في العصر العباسي ، وجدتم فيها من يحرص حرصاً شديداً على بحث طابع المدرستين وطابعها ليضع تقاليد هذه المدارس الفنية ، وما شاع فيها من أصول وقوانين .

لن أمضي إذن إلى دعوة الدكتور عبد اللطيف حرة ، إذ يدعونا إلى احترام قانون الأصالة ، ما دام هذا القانون يحول بيننا وبين الدراسة العلمية المنظمة للفن والفنانين ؛ بل أبادر وأطمئنه إلى أن هذا القانون احترمه النقاد جميعاً ، قديماً وحديثاً ، حين حاولوا أن يقيموا المذاهب الفنية ، وإلا لما استطاعوا مذهباً جديداً ، ولا حرروا الشاعر في مذهب قديم .

لا ينكر النقاد قانون الأصالة [illegible] يحتكمون إليه فيما يؤسسونه [illegible] الأمر أنهم لا يتصورونه كما يتصوره [illegible] خفي ، أو مستور ، أو شيء مما وراء الطبيعة في الفن والفنانين ، إنما هو دور في رأيهم التجديد أصحاب المذاهب وتنمية الاستعداد لها ، وصعودهم بها إلى الآفاق العليا ؛ ومن أجل ذلك كانوا إذا حاولوا تنظيم دراسة في مذهب يتحدثون عن أساتذته وتلامذته ، ويضعون كل منهم في مكانه ، حتى تتضح الفوارق الدقيقة بين الشعراء .

أما إن كان الزميل يريد بالأصالة معناها المطلق من الجهود الشخصية ، كما يقول ، وما يشبه ذلك من الحرية الفردية بين الشعراء والفنانين ، فإن الأصالة تصبح مجرد أسطورة لا تحتمل جدلاً ولا مناقشة . ولست أظن أن باحثاً يستطيع أن يزعم — في هذا العصر الذي يؤمن بمذهب الخبر والتأثر العميق النافذ بين الفرد والجماعة في جميع الدراسات — أن شعراء العرب نشئوا نبتاً غير منظم ، فليس بينهم صلة ولا وشيجة ، ولا في شعرهم أثر من حضارة قديمة ، ولا حضارة عباسية حديثة ، وإنما هم يعيشون معيشة منعزلة غريبة ، يعيشون متنابذين لا يقبل بعضهم على بعض ، ولا يستفيد بعضهم من بعض ، إذن لأصبح أن يكون بينهم فكر مشترك ، ولا أسلوب مشترك ، ولا صورة مشتركة ، ولا موضوع مشترك ، بل ولا تركيب مشترك ، ولا نحو مشترك .

والحق أنه لا يوجد بين نقادنا من ينكر التشابه والتماثل بين الشعراء ، وأنهم كانوا يأخذون بعضهم من بعض ، تشهد بذلك النصوص القديمة عند الجاحظ وأبي الفرج والآمدي وغيرهم من النقاد القدماء ، وهم لم يقولوا ذلك لطلب تنظيم الدراسة ، بل قالوه ليصوروا من الوقائع الأدبية الشعر العربي . ويأتي المحدثون فيتعقبون ما [illegible] إليه هؤلاء النقاد من مذاهب ومدارس معتمدين لا على التأمل فقط ، بل على الدرس العلمي المنظم حيث [illegible] أصول مقررة ، فهم لا يستطيعون أن [illegible] استنبطوها من أمثلة كثيرة ، فإن هم [illegible] معين أو بيت معين كانت قاعدة [illegible] هذا الفرع أو هذا البيت لا تقطع بشيء ، إذ القطع في الأحكام الأدبية يستلزم أن تكون مطردة في نماذج متنوعة .

ليس الأصل عند من يصطنعون المذاهب الفنية أن يرصدوا قاعدة ويطبقوها ، فذلك إن صح في قواعد الطبيعة فإنه لا يصح في قواعد الشعر الذي [illegible] الشذوذ والاستثناء ، ومن أجل ذلك كان النقاد لا يحكمون بشيء ، دون أن يشتقوه من نص بل من نصوص مختلفة ، إذ ليس مرجع هذه القواعد التي نتخذها في المذاهب إلى خواطر وفروض ، بل هي ترجع إلى النصوص نفسها ، فهي قواعد نسبية أو [illegible] ، ولا بد لها من الاطراد في النماذج والأبيات المختلفة ، مع التسليم بأن القاعدة الفنية قد تتخلف في بعض النماذج ، ولكن هذا لا يعني بطلانها إنما يشير إلى صفتها ، وهي صفة تجعلنا ندرس ما قد يحدث من شذوذ أو استثناء [illegible]

علله ومصادره . وعلى هذا النحو يستخرج النقاد — بعد استقراء شاق طويل — القاعدة والقواعد الأدبية ، ثم يتكون من مجموعة هذه القواعد المذاهب الفنية .

أما تلك الظاهرة التي يعجب منها الدكتور الزميل ، وهي أن أبا العلاء لم يحسن فلسفة الشعر ، بينما أحسن ذلك أبو تمام ، فقبل كل شيء ينبغي أن نحدد ألفاظنا لأن صاحب الكتاب لا يستطيع أن ينتهي إلى هذه النتيجة ، بل إنه لا يجرؤ على القول بها ، إذ كل ما أشار إليه أن أبا تمام استطاع أن يستخدم شيئاً من الفلسفة استخداماً راقياً كأدوات من التصنيع والتجميل ، بخلاف أبي العلاء فإنه فلسف الشعر حقاً ، ولكني لم أر عنده هذه الظاهرة من استحالة الفلسفة والثقافة إلى ألوان راقية ، هذا لأن أبا العلاء من أصحاب مذهب التصنع ، بينما أبو تمام من أصحاب مذهب التصنيع ، وإلى هنا تنال الحديث عن نشوء المذهبين ، وبيان تأثير [illegible] فيهما ، فذلك قد فُسّر في الكتاب [illegible] تفسيراً واضحاً لا يدع مطلقة البحث [illegible]

وأخرى ، وهي أن الدكتور الزميل يأخذ علينا أننا جعلنا مذهبي الصنعة والتصنيع يظهران في طورين متعاقبين ، وقد عجبت من هذه الملاحظة ، لأن الكتاب يجعل هذين المذهبين متعاصرين أثناء العصر العباسي ، إذ كانا يتقابلان طوال القرنين الثاني والثالث ، وقد مثل مذهب الصنعة في القرن الثاني أبو نواس ، ومثله في القرن الثالث البحتري وابن الرومي ، بينما كان يمثل مذهب التصنيع في القرن الثاني مسلم وفي القرن الثالث أبو تمام وابن المعتز ، وعلى ذلك أُديرت فصول القسم الأول من الكتاب .

وأنا بعد أراني في حاجة هنا إلى الاعتراف ثانية بما صرحت به في مقدمة البحث ، من أني لا أزعم لنفسي أني كشفت عن جميع جوانب الفن في الشعر العربي ومذاهبه ومناهجه ، إنما حاولت ذلك ، ودللت عليه ، غير منكر ما قد يكون في هذا البحث الجديد من آثار إبهام أو غموض . وإني لأبعث إلى الزميل الدكتور عبد اللطيف تحية طيبة ، سائلاً في أن أختم هذا الحديث بقول الجاحظ في مفتتح بيانه : « اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول ، كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن ، كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن » ... اللهم آمين ... !

شوقي ضيف

أضاليل الأماني

قالوا: أتقضى أمنيَّ إن فاتك الوطرُ؟
فقلتُ: ما فاتني شيءٌ له خطرُ

أهفو لها مُنيةً ما نالها أحدٌ
إلا وقد ضحكت في رأسه الغُدُرُ

نأى – على الشيب – مثلَ الشيب وافدهُ
لا القلبُ يحشدُ آمالهُ، ولا البصرُ

هي العروسُ جلَوْها في مطارفها
كُرهاً على هرمٍ، أولى به الحُفَرُ

لا تعجلنَّ أنا نفسي على كِبَرٍ
وافتْ إليه، فإنَّ الشِّقوةَ الكِبَرُ

ما كنتُ آسى على ما فات من أملٍ
لو ظلَّ فوقي [illegible]

ما زال يرمي سوادَ الشيب مفترشاً
حتى اشتهيت [illegible]

شرخُ الشباب ملاذٌ لا يقوم له
فتىً، ولو كان في أشلائه حَجَرُ

هَوِيتُ من شأنه لو لم تكن ظهرتْ
به «العيونُ التي في طرفها حَوَرُ»

قالوا: تشقَّقَ من طول الصراع، أما
أتاهمو أنَّى المضامة الأكبر

تلك الكواكبُ في الآفاق ساريةً
والمال يحيى بها بالكلكلة الفقر

لا تعذلوه على الإخفاق، كم رجعتْ
من صيدها الأسدُ لم يُكتب لها الظفرُ

صدفتُ عن باطل الدنيا وزخرفها
وبتُّ صبًّا لما يأتي به القدرُ

مضى الصِّبا والهوى والزهوُ بعدهما
كأصْلَعِ(1) الدوحِ: لا ظلٌّ ولا ثمرُ

أراميني آني ما رُحْتُ منتظراً
خيراً من الدهر فيمن راح ينتظرُ

لا تطلب الشمسَ منه بعد مغربه
لأنَّ في سوقه لا تنفقُ الدُّرَرُ

[illegible] الناس كالمتصدق
[illegible]لات، أو كالمتقي الأكبر

[illegible] الأنام وما
[illegible] للقلب هالة الكدر

وكم ألهيهمو من قبلها حذراً
وهل ينجيك من مكروههم حذرُ؟

علي الجندي

(1) صلع الدوح: تساقطت أوراقه.

الحكومة الملكية المصرية

وزارة المالية

القرض الوطني ٣¼ ٪ سنة ١٩٦٣/١٩٧٣

سعر الإصدار ١٠٠ ٪

سندات هذا القرض صادرة بمقتضى القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣ ، وتخصص حصيلة القرض لتحويل وتسديد الدين الموحد والدين الممتاز كليهما أو بعضهما .

رخص للبنك الأهلي المصري في قبول الاكتتاب في القرض المذكور .

تكفل موارد الخزانة العامة رأس مال القرض وفائدته .

تتعهد الحكومة الملكية المصرية بأن تخصص مبلغاً سنوياً لتكوين مال احتياطي لاستهلاك هذا القرض لا يقل عن ٢ ٪ (اثنين في المائة) من مجموع الاكتتاب ، وذلك بالمطابقة لنص المادة الثالثة من القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣ .

سندات هذا القرض لحاملها ، وهي بالعملة المصرية . ويجوز لحملة السندات تسجيلها بالبنك الأهلي المصري ، والحصول منه على شهادات اسمية بذلك .

رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة حالية أو مستقبلة ، مباشرة أو غير مباشرة بما في ذلك ضريبة التركات .

فائدة القرض ثلاثة وربع في المائة سنوياً ، محتسبة من تاريخ الاكتتاب ، وتدفع كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية في أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي بالقاهرة .

تدفع فوائد الستة شهور الأولى في أول مايو سنة ١٩٤٤ عن نصف سنة بالكامل .

يجب أن تكون طلبات الاكتتاب عشرة جنيهات مصرية أو مضاعفات العشرة الجنيهات المصرية .

يجب أن يدفع المكتتب ثمن السندات المكتتب بها بالكامل عند الاكتتاب ، مضافاً إليها الفائدة المستحقة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية تاريخ الاكتتاب .

يتسلم المكتتب شهادة مؤقتة بقيمة اكتتابه ، ويتسلم فيما بعد — في مقابل رد تلك الشهادة — سندات لحاملها بقيمة اكتتابه (ملحقاً بها كوبونات الفوائد) من الفئات الآتية :

جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠

يجوز لوزارة المالية في أي وقت ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٦٣ أن تستهلك القرض كله أو بعضه بالقيمة الاسمية .

يعلن عن الاستهلاك الجزئي بطريق السحب في الجريدة الرسمية قبل الميعاد المحدد لرد قيمة السندات المستهلكة بثلاثة أشهر على الأقل .

تنشر أرقام السندات المسحوبة للاستهلاك بالجريدة الرسمية قبل التاريخ المحدد لرد قيمتها بثلاثين يوماً على الأقل .

تحتسب الفائدة عن السندات المستهلكة إلى اليوم السابق لليوم المحدد لرد قيمتها .

تدفع قيمة السندات المستهلكة إلى حامليها بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي في القاهرة .

أما السندات التي لا تكون قد استهلكت قبل أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ فترد قيمتها الاسمية لحامليها بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي بالقاهرة في التاريخ المذكور .

يسقط الحق في المطالبة بقيمة السند بعد مضي خمس عشرة سنة ميلادية من تاريخ استحقاق قيمته ، ويسقط الحق في المطالبة بقيمة الكوبون بعد مضي خمس سنوات ميلادية من تاريخ استحقاقه .

يجوز قبول سندات الدينين المختار ٣½ ٪ والموحد ٤ ٪ الصادرين بالعملة الاسترلينية بدلا من الاكتتابات النقدية في هذا القرض وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى مكتب صندوق الدين العام بالقاهرة خلال المدة من أول نوفمبر إلى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة لدين الموحد ٤ ٪ وخلال المدة من ١٦ نوفمبر إلى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين المختار ٣½ ٪ ، أما طلبات التحويل المقدمة من حملة هذه السندات المقيمين في خارج القطر المصري فإنها تقبل إلى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة لدين الموحد ٤ ٪ وإلى يوم ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ بالنسبة لدين المختار ٣½ ٪ ويقبل كذلك بنك انجلترا بلندرة هذه الطلبات على أن يكون تسليم السندات الخاصة بها في مصر لحساب طالب التحويل .

تقدر سندات الموحد ٤ ٪ بعلاوة قدرها ٢ ٪ فوق قيمتها الاسمية وسندات المختار ٣½ ٪ بعلاوة قدرها ١ ٪ فوق قيمتها الاسمية . والاكتتابات المقدمة على هذه الصورة والمقدرة قيمتها على هذا الأساس يقبل من قيمتها ما يكون بمضاعفات العشرة الجنيهات ويرد نقداً كسور العشرة جنيهات الزائدة على ذلك إلى طالبي التحويل .

(١٠٠ جنيه استرليني = ٩٧ جنيه مصري و ٥٠٠ مليم) .

يوقف ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ احتساب الفائدة عن سندات الموحد ٤ ٪ ، وسندات المختار ٣½ ٪ التي تقدم اكتتابا في هذا القرض .

تدفع فائدة سندات المختار ٣½ ٪ عن المدة من ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٣ إلى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ عند تحويلها إلى هذا القرض .

يجوز قبول سندات قرض القطن ٤½ ٪ ١٩٤٢ — ١٩٤٦ وقرض القطن ٤ ٪ ١٩٤٤ — ١٩٤٨ بدلا من الاكتتابات النقدية في هذا القرض ، وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى البنك الأهلي المصري بالقاهرة خلال المدة من أول لغاية ثلاثين نوفمبر سنة ١٩٤٣ .

تدفع لحملة سندات القرض ٤½ ٪ ١٩٤٢ — ١٩٤٦ قيمة الكوبون المستحق في أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ مضافاً إليها الفائدة الجارية حتى أول يناير سنة ١٩٤٤ وهو اليوم المحدد لتسديد هذا القرض ، ويستنزل من ذلك مبلغ الفائدة بواقع ٣½ ٪ عن المدة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٤٣ .

تدفع لحملة سندات قرض القطن ٤ ٪ ١٩٤٤ — ١٩٤٨ قيمة الكوبون المستحق في ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤ بعد استنزال مبلغ الفائدة بواقع ٣½ ٪ عن المدة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤ .

يمكن الحصول على نسخ من هذا الإعلان ونماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلي المصري وفروعه ومن البنوك المعتمدة من غرفة المقاصة ومن السماسرة المعتمدين من قومسيون بورصتى الأوراق المالية .

يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلي المصري بمركزه الرئيسي بالقاهرة في أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، ويجوز لوزارة المالية أن تقفل الاكتتاب في أي وقت تشاء .

القاهرة في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٣
١٣٧٠

وزير المالية
أمين عثمان